التحفة البهيجة في مناقب
أم المؤمنين خديجة
رضي الله عنها

بقلم:
منصور محمد فهد الشريدة

ننن

المقدمة

الحمد لله والصـلاة والسـلام على نبينا محمد وعلى آله وصـــــــحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين أما بعد :

فإنه لما كان لأم المؤمـنين خديجة بنت خويلد – رضي الله عنهـــا- من المزايا ما تكل دونه الأقلام من تعداد فضـائلها. ونـور فراستها، وحصافة عقلها وحزمهـا، وحسن صنيعها بالرسول الله والرسـالة وسـبقها بالإيمان.

أحببت إيــراد طــرف منها لإيقــاظ من كان غافلاً عنها، وأن كـان ذلك من إيضـاح الواضح.

فهي أول من آمن بالرســـــــول من النسـاء والرجـال، وجـدة الذرية المباركـة، وكـانت تـدعى في الجاهلية الطـاهرة، وأم هنــد. وفي الإســلام خديجة الكــبرى ، وأم البتول، ويلقبها أهل مكة بالجيدة، مما يدل على ما لها من حظوة في قلوبهم .

ولم يتزوج النبي من الجاهلية ولم يلد

له من المهــائر غيرهــا، ولم يــتزوج عليها حــتى مــاتت، وقد حــزن عليها بعد موتهــا، وكـان يـذبح الشـاة، ثم يُقطعها أعضـاء ثم يبعثها في صدائق خديجة – رضي الله عنها - ، وقد تــوفيت بحياته ، ولم يمت عنــده من نسائه غيرها وغــير زينب بنت خزيمة ، وكان النبي يكثر الثنـاء عليها بعد وفاتهـا، وولــدت له القاسم وُلد في الإســلام وبه كان يكنى.

وأولاده كلهم من خديجة – رضي الله عنها – إلا إبراهيم فإنه من مارية القطبية ، وبقيت سـيرتها نبراسـاً للزوجة الصـالحة، وأسوة في الأمانة والوفاء.

هذا والله المسئول أن ينفع به من شاء من عبـاده الصـالحين، ويجعله لي ذخـيرة بحوله وطوله .

مقدمه:
منصور محمد الشريدة
القصيم - بريدة

شرف قبيلة خديجة

رضي الله عنها

لقصي وأولاده شــرف على ســائرِ القبائــلِ القرشـــية، فكـــان بيد قصـــيّ جميع مناصب الشرف في مكة .

وأولاده هم عبـــــــــدالعزى «جد خديجة»، وعبدالدار الـذين منهم بنو شـيبة حَجَبة الكعبـة، والمطلب، وعبد منـــاب الـــذي ولد هاشـــماً والمطلب وعبد شمس ونوفلاً.

وقد شرف عبد منـاف وأخـوه المطلب في حياة أبيهما قصيّ.

وقد ورث قصـــيّ جميع المناسب لابنه عبد الدار وأكبر أولاده ليلحقه بأخويه في الشرف .

وبعد وفاة عبد الدار وأخيه عبد مناف تنازل أولادهما فتـوزعت المناصب بين عشـرة بيـوت من قريش.

فلبــني أسد بن عبد العــزى – رهط خديجة وورقة بن نوفل والزبــير بن العــوام وحكيم بن حزام – المشورة.

ولبـــني هاشم بن عبد منـــاف السِّـــقَاية والعمارة وهي منع السفه في بيت الله .

ولبــني أمية بن عبد شــمس بن عبد منــاف

القيادة .

ولبــني نوفل بن عبد منــاف الرِّفــادة وهي إطعام المنقطعين من الحجاج .

ولبني عبد الدار : السدانة واللواء والنـدوة، وهي دار المشورة، لا يعقد لـواء حـرب إلا فيها ولا يتزوج رجل امرأة من قريش إلا فيها .

ولبـــني مخـــزوم بن مـــرة رَهْط أبي جهل وخالد بن الوليــد: الأعنَّة والقبــة، وهي الخيمة التي تضرب ليجمع فيها ما يجهز به الجيش.

ولبني تميم بن مرة رهط أبي بكر الصــديق وطلحة بن عبيد اللــه: الإشــناق وهي الــديات والمغارم.

ولبـــــني عـــــدي بن كعب رهط عمـــــربن الخطاب: السفارة.

ولبــــني ســــهم بن كعب رهط عمــــرو بن العــاص: الأمــوال المحجــرة وهي المســماة لآلهتهم.

ولبــني جمح رهط أمية بن خلف : الأيســار وهي الأزلام والأقداح.

واعلم أنه ليس في أزواجه من أولاد قصيّ إلا خديجة وأم حبيبة بنت أبي ســفيان بن حرب بن أمية .

أزواج خديجة قبل رسول الله
صلى الله عليه وسلم

تزوجت خديجة رضي الله عنها قبل رسـول الله مرتين.

فكانت زوجاً لعتيق بن عايد، وقيل: عائذ المخزومي. وكان أخوه عمرو بن عائذ هو والد فاطمة أم عبد الله والد النبي .

ولدت خديجة لعتيق جارية اسمها هند وغلاماً اسمه عبدمناف .

ولما مات عتيق تزوج خديجة رضي الله عنها أبو هالة «هند بن زرارة بن النباش التميمي» وكان يلقّب النباش كما ذكره السهيلي، وقد مات عنها .

ورجح ابن عبدالبر أنَّ خديجة قد تزوجت أبا هالة قبل عتيق ونسبه إلى الأكثرين.

وولدت لأبي هالة ابنين ذكرين، وهما: هند والحارث أبو الطاهر، وبنتاً اسمها زينب، وقيل هند .

فأما الحارث فقد قلته أحد المشركين عند الركن اليماني.

وأما هند فقد أدرك الإسلام وأسلم وشهد أحداً، وسكن البصرة، وقُتِل مع عليّ يوم

الجمل، وقيل: مات في طاعون البصرة.

وقد مــات في ذلك اليــوم ســبعون ألفــاً فشغل النــاس بجنــائزهم عن جنازته فلم يوجد من يحملها فقالت نادبتـه: «واهنـداه بن هنـداه !! اربيب رســـول الله ﷺ» فلم تبق جنـــازة إلا تُرِكَت وحُمِلَت جنازته على أطراف الأصابع.

وكان هند يقول: «أنا أكرم الناس أمـاً وأبـاً وأخاً وأختـاً: أبي رسـول الله ﷺ، وأمي خديجـة، وأخي القاسم، وأختي فاطمة».

وكان بارعاً في الوصف، روى عنه ابن أخته الحسن بن علي بن أبي طـــــــالب رضي الله عنهما وصفه لرسـول الله ﷺ الـذي لم يـأت أحد بمثله في الوصف.

والحديث مذكور في «شمائل الترمذي».

رغبة خديجة رضي الله عنها في الزواج منه ﷺ (1)

لاحت لوائحُ النبـوة قبل ميلاده ﷺ، واتَّسـعت آياتها، وانتشرت الأخبار بظهور نبيّ من العـرب حلَّ ميقاته، فكان بذلك أمر النبوة معروفاً لدى قريش.

قال ابن إسحاق: «كانت الأحبـار من يهـود، والرهبان من النصارى، والكهَّان من العـرب قد تحدثوا بأمر رسول الله ﷺ قبل مبعثه لما تقارب زمانه.

فأما الأحبـــار فَلِمَا وجـــدوا في كتبهم من صفته ﷺ وصفة زمانِه.

وأما الكهان فَلِمَا جاءتهم به الشياطين فيما يَسْــتَرِقونَ من الســمع مما كــانت تتــذاكره الملائكة في الســماء قبل وجــوده ﷺ إذ كــانت الشـــياطين لا تحجب من ذلك كما حجبت عند ولادته ﷺ ومبعثه.

وورد أن راهباً يدعى «عيص» كـان يسـكن بمر الظهران فـإذا دخل مكة قـال: «يوشك أن يولد فيكم مولود تدين له العـرب ويملك العجم هذا زمانه» .

وكان بمكة يهودي اسمه «يوسف» على ما ذكـره الواقـدي. قـالت عائشـة: «فلما كـانت الليلة الــتي ولد فيها رســول الله قــال ذلك اليهودي في مجلس من مجالس قريش: «ولد هــذه الليلة نــبي هــذه الأمة وهو منكم معاشر قريش» .

وبالجملة كَثُر تحـــدُّث الأحبـــار والرهبـــان والكهان في اليمن والشــام والمدينة ومكة عن قرب مولده ومبعثه .

ولابد أن تكــون قد انتشــرت بين قـــريش أحـــاديث أمه فيما شــاهدت وســـمعت حين الحمل وحين الولادة .

وكذلك انتشرت بينهم الآيات الــتي ظهـرت لمولـده ، وأحـاديث حليمـة، وحـديث الـراهب بحـيرا لعمه أبي طـالب حين تفـرَّس بـالنبي وقال: «سـيكون لابن أخيك هـذا شـأن» وغـير ذلك مما هو في السير مذكور ومعروف .

(2)

وكان لخديجة حظٌّ من الثراء ولها ما لنســاء قومها من الاســتقلال في أمــوالهن، فكــانت تتاجر في مالها .

وتكـاد أن تكـون قـريش كلها تجـاراً ومن لا يستطيع السفر من أجلها أَقْـرض ماله بالربا أو أعطى ماله إلى آخر ليتَّجر فيه مضـــــــارباً أو

أجيراً .

فكـانت خديجة تسـتأجر الرجـال في مالها بشيء تجعله لهم .

فلما حـان موعد خـروج القافلة إلى الشـام في وقت أصاب قريشـاً أزمة شـديدة قـال أبو طالب للنبي : «يا ابن أخي أنا رجلٌ لا مال لي وقد اشتد الزمان وألحَّت علينا سـنون منكـرة، وهذه عيرُ قومك قد حضر خروجها إلى الشام ، وخديجة بنت خويلد تبعث رجـالاً من قومك في عيرها فيتَّجرون لها في مالها ويصـيبون منـافع، فلو جئتّها لأسْـرعتْ إليك وفضَّـلَتك على غـيرك لما يبلغها عنك من طهارتــك، وإن كنت لأكــره أن تأتي الشام وأخاف عليك يهـود ولكن لا تجد من ذلك بداً».

وكان عمره إذ ذاك خمساً وعشرين سنة. فبلغ خديجة ما كان من محاورة عمه له فقـال: ما علمت أنه يريد هذا .

ثم أرسلت إليه تقول: «إني قد دعـاني إلى البعثة إليك ما بلغني من صدق حــديثك، وعظم أمانتـك، وكـرم أخلاقـك، وأنا أعطيك ضـعف أو قــــالت: أفضل ما أعطي رجلاً من قومك». فَقبِـلَ رسـول الله عرضـها، وخــرج بتجارتها ومعه غلامها مَيْسَـرة وقد قـالت لغلامهـا: «لا تعصِ له أمراً» .

وسار مع الركب حتى قدم سوق بصرى من الشام، فنزل في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب اسمه نسطورا، فقال الراهب لمَّيْسِــرة: ما نزل تحت هذه الشـجرة إلا نـبيٌّ وانحـدر من صــومعته وتفـرَّس في رســول الله ما يعرفه من العلامات .

ثم بــاع رســول الله البضــاعة في ســوق بصرى وربحوا ربحاً ما ربحوا مثلـه، ثم اشـترى ما أراد أن يشتري ثم أقبل قافلاً إلى مكة.

وكــان مَيْسَــرة يــرى في الــذهاب والإيــاب مَلَكين يظلانه من الشـــــمس إذا اشـــــتدت الهاجرة. وفي رواية : أن سحابة كانت تظلله.

فلما قَـدِمَ رسـول الله على خديجة بمالها باعت ما جاء به فأضـعف أو قريبـاً فـأعطت له ضــعف ما سَــمَّت لــه، وكــانت قد ســمت له بكرتين فأعطته أربعاً .

وحــدثها ميســرة بما رآه من أحــوال غريبة وبقول الـراهب نسـطورا، وعما كـان يـرى من إظلال الملكين أو السحابة .

وكـــــان ورقة بن نوفل «ابن عم خديجة» ممن علم العبرانية وقرأ بها الأسفار وعرف بها الأديــان، واعتنق النصــرانية، وعلم منها مبعث نبي من العرب.

فحدثته خديجة بما ذكــره ميســرة فقــال:

«لئن كان هذا حقاً يا خديجة فإن محمـداً لنـبيُّ هذه الأمة، وقد عرفت أن كائن لهذه الأمة نـبيٌّ ينتظر هذا زمانه».

وقد ذَكَّرَها قــول ورقة بحــادث لها قــديم: «كـانت في نسـوة من قـريش مجتمعـات في عيد لهنَّ في الجاهلية إذ تمثل لهن رجــل، فلما قرب نادى بأعلى صوته: «يا نساء مكة سيكون في بلدكن نـبيٌّ يقـال له أحمـد، فمن اسـتطاع منكن أن تكون زوجة له فلتفعل».

فكذبنه ورمينه بالحصى إلاّ خديجة لم ترمه ووقع في نفسها صدقه .

فلما قـــال لها ورقة ما قـــال رنَّ في قلبها صدق ذلك الصوت الـذي سـمعته حـتى قـالت: «إن كان ما قاله اليهودي حقاً ما ذالك إلا هذا» .

(3)

وكـانت لخديجة وفـرة من المزايا نـالت بها مقاماً في قريش:

كـانت من أوسط قـريش نسـباً وأعظمهم شرفاً وأكثرهم مالاً وأحسنهم جمـالاً وفضـائل نفس .

وكــانت تــدعى في الجاهلية الطــاهرة، أو ســيدة قــريش، وكل شــريف من قومها كــان

يتمـــنى أن يتزوجها لو قَـــدَر على ذلـــك، فقد طلبوها وذكروا لها الأموال فلم تقبل ما عــرض عليهــا، ورغبت في زواجه إذ كـانت ذات قلب تــوَّاق إلى معــالي الأمــور، عظيمة الشــغف بمحاسن الأخلاق، ذات نظــــرة ســـليمة ذكية حازمة هيّأها الله للسعادة والشرف الدائم .

فوجــدت فيه ما تعشق من المزايا بعد أن علمت ما انتشــرت من الإشــارات إلى نبوته ، وما شــاع من كــريم أخلاقــه، ومن ســيرته في متجرها.

فلا جرم أن وقع في محــلٍ من قلبها حيث وجدت فيه ضـالتها: محاسن خلُق وكمـال خلق وجمال نفس .

ولا غرابة وهي اللبيبة الحازمة مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير أن تَصدقَ فراســتها وتسبق إلى تزوُّج الذي جمع إلى شرف النسب شرف الخلال .

إذا اصطفاك لأمر هيَّأتك له

يـد العناية حتى تبلـغ الأربـا .

الزواج السعيد به صلى الله عليه وسلم

فبعثت إلى رسول الله عقب رجوعه من عيرها «نفيسة أخت بن مُنية» خِفْيَة، فقالت لرسول الله : ما يمنعك أن تتزوج، فاعتذر بقلة المال قالت له: فإن كفيت ودعيت إلى المال والجمال والشرف والكفاءة. قال لها: ومن؟ قالت: خديجة. قال: كيف لي بذلك؟ قالت: عليَّ؟ قال: فأنا أفعل .

فذهبت نفيسة إلى خديجة وأخبرتها، فأرسلت إليه خديجة قائلة: «يا ابن عم إني قد رغبت فيك لقرابتك وسماحتك في قومك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك» .

فذكر ذلك لأعمامه فخرج معه عمه حمزة حتى دخل على عمها عمرو بن أسد بن عبدالعزى، وخطب فقال عمها: «هو الفحل لا يجدع أنفه» أي كفءٌ لا يرد إن خطب وزوَّجها عليه.

وقيل: إن رسول الله دخل في عمومته، وإن أبا طالب هو الذي خطبها فقال: إن لابن أخي في خديجة رغبة ولها فيه مثل ذلك.

وقد حضر عقد قرانه أبو طالب ورؤساء مضر، فخطب أبو طالب وقال: الحمد لله الذي جعلنا من ذريّة إبراهيم، وزرعِ إسماعيل، وضِئْضئ معد، وعنصر مضر، وجعلنا حضنة

بيته، وسُوَّاس حرمه، وجعله لنا بيتـاً محجوجـاً، وحرماً آمناً، وجعلنا حكام الناس.

ثم إنَّ ابنَ أخي هــذا محمــدُ بن عبد الله لا يـوزن به رجـلٌ إلا رَجَح به شـرفاً ونُبْلاً وفضـلاً وعقلاً ، إن كان في المال قلّ فـإنَّ المـال ظل زائل وأمر حائل وعارية مسـترجعة، وهو واللـهِ بعد هذا له نبأٌ عظيم وخطب جليل، وقد خطب إليكم رغبة في كريمتكم خديجـة، وقد بـذل لها من الصــــداق ما عاجله وآجله «اثنـــتي عشر أوقية ونشا» أي من ذهب والأوقية أربعـــــون درهماً. وقيل أصدقها عشرين بكره .

وخطب ورقة بن نوفل فقـــال: «الحمد لله الذي جعلنا كما ذكرت وفضَّلنا على ما عـددت ، فنحن سـادة العـرب وقادتهـا، وأنتم أهل لـذلك كلـه، لا ينكر العـرب فضـلكم ولا يـرد أحد من الناس فخركم وشرفكم، فاشهدوا عليَّ معاشر قـــــــريش أني قد أنكحت محمد بن عبدالله خديجةَ بنت خويلد ».

وأردف عمها بقوله: «اشـهدوا عليَّ معاشر قــــريش أني قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبدالله ».

وأوْلَم عليها رســـول الله فنحر جــــزوراً، وقيــل: جــزورين، وأمــرت خديجة جواريها أن يرقصن ويضـربن الـدفوف، وفـرح أبو طـالب فرحاً شديداً وقـال: الحمد لله الـذي أذهب عنا

الكرب ودفع عنا الغموم.

وروى الفاكهي عن أنس رضي الله عنه، أن خديجة لما طلبت من النــبي الحضــور إليها اســتأذن عمه أبا طـالب، فـإذن له وبعث خلفه جارية يقال لها: تبعة، وقـال لهـا: انظـري مـاذا تقول له خديجة فخرجت خلفه، فقـالت خديجة للنـبي : «إني لأرجو أن تكـون النـبي المنتظر الذي سيبعثه اللـه، فـإن كنت أنت فـأعرف لي حقي ومنزلـتي، وادع الإله الـذي سـيبعثك لي» فقـــــال لهـــــا: «والله لأن كنت أنا هو فقد اصطنعت عنـدي ما لا أضـيعه، وإن يكن غـيري فإن الله الذي تصنعين هـذا من أجله لا يضـيعك أبداً»

وكان تزوُّجه بخديجة بعد مجيئه من الشام بشهرين أو خمسة عشر يوماً ، وكان عمره إذا ذاك خمساً وعشرين سنة. أما هي فكـانت في الأربعين من عمرهـــــا. وقيل في عمرها أقل وأكثر من ذلك كما في «السيرة الحلبية» .

حُسن عشرتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومؤازرتها للإسلام

ولما تزوجته أَحسنت عُشرته، فكانت لا ترى منه مَيْلاً إلى شيء إلا وبادرت إليه. وقد رأت قبل البعثة مَيْله إلى زيد بن حارثة مولاها فوهبته له، بل وألقتْ إلى يده التصرُّف فيما تملك، فأصبح البيت مثابةً لقضاء حوائج المحتاجين.

وكانت تحدب عليه فإذا رأته قد تأخر عن الغداء التمسته بأعلى مكة ومعها غداؤه.

وحين شارف على الأربعين من عمره وحُبِّبتْ إليه الخلوة والانفراد في غار حراء يتعبَّد فيه بالذكر والتفكير ومناجاة ربه كانت خديجة رضي الله عنها تزوِّدُه بالطعام وربما أوصلته إليه بنفسها.

وفي حِرَاء نزل عليه الوحي ، فرجع إلى خديجة منتقعَ اللون مرتجفَ الصدر، وقال: «دثِّروني دثِّروني» فدثَّرته فلما سألته قصَّ عليها ما حدث وقال: خشيت على نفسي. قالت: كلا والله ، ما يخزيك الله أبداً؛ إنك لتصلُ الرَّحم ، وتحمل الكَل، وتكسبُ المعدوم ، وتُقْري الضيف، وتعين على نوائب الحق، وتصدق الحديث ، وتؤدّي الأمانة.

ثم قالت : أبشر يا ابن عم، واثبت ، فو

الــذي نفس خديجة بيــده إني لأرجو أن تكــون نبيَّ هذه الأمة .

وفي رواية أنها قـــالت: إذا جـــاء صـــاحبك بـالوحي فـأخبرني بخـبره، فلما جـاءه أخبرها . فقـــالت : اجلس على شـــقي الأيمن، فلجس. فقالت: أتراه الآن؟ قال: نعم. قـالت : فتحـول فاجلس في حِجْري ، فتحوَّل فقـالت: هل تـراه الآن؟ قال : نعم ، فـرفعت خمارها عن رأسـها، وقالت: هل تراه الآن؟ قـالت : لا . فقـالت: ما هذا شيطان هذا مَلَكٌ من ملائكة الرحمن .

ولتتأكد ســـــــــارعت إلى ابن عمها ورقة فأخبرته بما أخبرها به الرسـول ، فقـال روقة قُـدُّوس قُـدُّوس، والـذي نفس ورقة بيـده، لئن كنت صــدقتني يا خديجة لقد جــاءه النــاموس الأكبر الـذي كـان يـأتي موسى وإنه لنـبي هـذه الأمة فليثبت .

فأخبرت رسول الله يقول بقول ورقة. ثم لقي ورقة رسـول الله ، فقـال له : أخـبراني بما رأيت وســمعت، فــأخبره . فقـــال ورقة : والـذي نفسي بيـده إنك لنـبيُّ هـذه الأمـة، لقد جــاءك النــاموس الأكــبر الــذي جــاء موسى ولتكذبنَّ ولتؤذينَّ ولتخرجنَّ ولتقـاتلنَّ ، ولئن أنا أدركت ذلك اليـوم لأنصـرنَّ الله نصـراً يعلمه» ثم قَبَّل يافوخــه، وانصــرف رســول الله إلى منزله .

وهكـــذا كـــان قلب خديجة رضي الله عنها خليقاً أن لا يفزع أمام هـذه الحادثة الغريبة في ظاهرهـــــــــا، وأوحت إليه فطنتها أنه الأمين الصــادق، وأدركت بعقلها وبعد تفكيرها بــأن ما يتحلى به الأمين من الصفات والأخلاق وقايةً له أن يناله شــرٌ أو خــزيٌ، وأنَّ ما حــدث له كــان تأهيلاً له للأمر العظيم الذي كـان قد انتشر من الإشارات إلى نبوته ﷺ.

وزادها قول ورقة يقيناً فأصبح إيمانها بنبوته ورسالته إلى الناس أثبت من الرواسي، فكانت أول من آمن به ﷺ ، وأول من صلى بصلاته ﷺ .

وقد روي أن جبريل نـنزل عليه بــ (اقــرأ) في سَحَر ليلة الاثنين ، ثم جــاء وعلَّمه الوضــوء والصلاة في صباح الاثـنين، وصـلَّت خديجة معه في مساء الاثنين .

ولما علَّمه جبريل الوضــوء والصــلاة، جــاء إلى خديجة وأخبرها وتوضأ لها ليريَها كيف الطهور للصــلاة كما أراه جبريل فتوضــأت مثل وضوئه، ثم صلى بها رسول الله ﷺ كما صــلى به جبريل.

وكـــانت الصـــلاة قبل الإســـراء وفـــرض الصلوات الخمس، صـلاة ركعـتين بالغـداة قبل طلوع الشمس، وركعـتين بالعشي قبل غــروب الشمس .

وكان الرسول ﷺ يستقبل فيها الحجَر الأسود، فلما فُرضت الصلوات الخمس ليلة الإسراء كان ﷺ يصلي بين الركن اليماني والحَجَر الأسود، فيجعل الكعبة بينه وبين الشام.

وقد ثَبَتَت خديجة مع رسول الله ﷺ في سبيل الحق مع شدة المعارضة، ولما اشتد به ﷺ أذى المشركين لما أسمعهم الدعوة وتكاثر عليه المفترون، حتى أقرب أقربائه كان منهم الهازؤون به والساخرون، آزرته خديجة رضي الله عنها فخفَّف الله بها عنه ﷺ لا يسمع شيئاً يكرهه ويحزنه إلا فرَّج الله عنه بها إذا رجع إليها فتثبِّته وتصدقه وتخفف عنه وتهوِّن عليه أمر المشركين .

ولما جعل الإسلام يزيد ويغشو وذُعِرَت قريش وتعاقدوا على بني هاشم والمطلب، أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يكلموهم ولا يجالسوهم أو يُسلِّموا إليهم رسول الله ﷺ ، وكتبوا في ذلك صحيفة علقوها بالكعبة ، فدخل بنو هاشم وبنو المطلب الشِّعْبَ، ودخلت معه خديجة رضي الله عنها، وكان ذلك في المحرم سنة سبع من البعثة، وبقوا كذلك ثلاث سنين إلى أن نَقَضَ الصحيفة قومٌ في قريش، وتحملت خديجة الجهد الذي أصاب بني هاشم وبني المطلب في الشِّعْبِ لا يُباعون لا يُبتاع

منهم، ويمنع وصـول الأرزاق إليهم حـتى أكلـوا الخَبْط وورق الشجر.

ولم تلبث بعد خــــروجهم من الشِّـــعْب أن مرضت المرض الذي توفيت فيه .

وقد تُوفيت رضي الله عنها في يوم السبت العاشر من رمضان بعد مضي عشر سـنين من بعثته ، أي قبل هجرته بثلاث ســــــنين على الصحيح، وكان عمرها إذ ذاك 65 سنة .

وكـــانت وفاتها بعد الخـــروج من الشِّــعْب بثمانية وعشــــرين يومـــاً، ولم تكن إذ ذاك قد شُـــرِعت الصــلاة على ا لجنــائز، ولم تُفْــرض الصلوات الخمس إذ كان ذلك قبل الإسراء.

ودُفِنَت بالحجون ونَزَل النبي في حفرتهـا، وقَبْلها بثلاثة أيـــام من نفس العـــام مـــات أبو طالب عم الني .

وقد كـــانت للـــني عَضُـــداً وحِـــرزاً ومَنَعَة وناصراً له على قومه، كما كـانت خديجة رضي الله عنها وزيرَ صدق على الإسـلام يشـكو إليها ما يصيبه ، ويسكن إليها ، ويجـدُ عنـدها الراحة والسكينة والاطمئنان .

الذرية الصالحة المباركة

كلَّ أولاده من ذكر وأنـثى فإنه من خديجة رضي الله عنها ما عـدا إبـراهيم فإنه من مارية القِبْطية .

وكـــانت قابلة خديجة هي سَـــلْمى مـــولاة صـــفية بنت عبـــدالمطلب. وكـــانت خديجة تسترضع لأولادها.

أما أولاده منها فهم :

1 – القاسم : وبه كان يكنى . وُلِدَ قبل البعثة ومــات قبلها أو بعــدها على الخلاف في ذلك وتوفي صغيراً .

2 – عبدالله : وهو الملقب بالطـــاهر والطيِّب ، لأنه ولد في الإسـلام، وتـوفي كـذلك صغيراً .

وقبل الطـــاهر والطيب ولد ثـــالث من خديجة.

وأما ولده إبراهيم من مارية القبطية، فقد ولد بالمدينة وعاش عامين إلا شـهرين، ومـات قبل وفاته بثلاث أشهر يوم كسوف الشمس .

وأما بناته من خديجة رضي الله عنها فهنَّ: زينب، ورقيـــة، وأم كلثـــوم، وفاطمـــة، وكلهنَّ أدركن الإســـلام فأســـلمن وهـــاجرن، وكلهن تـــــوفين في حياته إلا فاطمة فإنها

توفيت بعده بستة أشهر.

1 – **فأما زينب:** فهي أكـبرهنَّ ، ولـدت قبل البعثة بعشر سنين، تزوجها ابن خالتها هالة بنت خويلـد، وهو أبو العـاص بن الربيع بن عبد العـزي بن عبد شـمس ، وقد تـوفيت بالمدينة سنة ثمانٍ من الهجرة .

ومات أبو العاص في خلافة عمر .

وقد ولدت له علياً ومات مراهقاً ، وأُمامـةَ. وتزوجها علي بن أبي طـالب بعد فاطمة ، فلم تلد لـه، ثم مـات، ثُمَّ تزوجها المغـيرة بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب فماتت أمامة عنده ولم تلد له .

2 – **وأما رقيـة:** فتزوجها عثمـان بن عفان، فولـدن له عبدالله الـذي مـات وله أربع سنين، وقيل: ست، وماتت عنده بعد يـوم بـدر بثلاثة أيام.

3 – **وأما أم كلثوم:** فقد تزوجها عثمـان أيضـاً بعد رقيـة، فمـاتت عنـده سـنة تسع من الهجرة ولم تلد له .

ولـتزوج عثمـان رضي الله عنه ببنـتي الرسـول «رقية وأم كلثـوم» سـمي (ذا النورين) .

4 – **وأما فاطمـة:** فقد تزوجها علي بن

أبي طالب فولدت له الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم وابناً مات صغيراً اسمه المحسن.

وقد تــزوجت زينب بنت علي، على عبدالله بن جعفر بن أبي طـــالب فولـــدت له علي بن عبدالله ، وله عَقِب .

وأما أم كلثــوم بنت علي فـتزوجت عمر بن الخطــاب رضي الله عنه فولــدت له زيــداً ولا عقب له .

وتـوفيت فاطمة بنت رسـول الله في ليلة الثلاثاء لثلاث من رمضان سنة 11هــ وذلك بعد وفاة أبيها بستة أشهر.

وقد أخـرج ابن عبد الـبر في «الاسـتيعاب» عن عمران بن حُصَـيْن أن النـبي عـادَ فاطمة وهي وَجِعة فقـال: كيف تجـدينك؟ قـالت: إني وَجِعة وإنه ليزيد ما بي ما لي طعـــام آكلـــه. فقـــال: يا بنية ألا ترضـــين أنك ســـيدة نســـاء العـــالمين. قـــالت: يا أبت فـــأين مـــريم بنت عمران؟ قال: تلك سيدة نساء عالمها .

ولما كـان في سـابق علمه تعـالى أن عليـاً وفاطمة هما واسطة حفظ نسل البيت النبــوي دبَّر لعلي رضي الله عنه أن ينشأ في بيت النبيِّ وبيت خديجة رضي الله عنهـا. فــإن اشــتداد

الأزمة في إحدى السنين اضطرت أبا طالب أن يقبل رجاء أخيه العباس وابن أخيه محمد بـأن يأخذ كل واحد منهما ولــداً من أولاده تخفيفــاً عنه، فأخذ العباس جعفراً، وأخذ النبي علياً .

فتلقى في هذا البيت تربيته وآدابه كأنَّ الله يهيئه بـذلك ليكـون ختنـاً كريمـاً وبعلاً صـالحاً لبنتهما الصـــغيرة فاطمة ليخـــرج من ابنيهما «الحسن والحســـين» الذرية النبوية المباركة التي انتشرت في أكـثر أقـاليم الأرض، وكـانت وما تــزال ســماء الســيادة في الأمة على مَــرِّ الدهور والأعصار .

مكانة خديجة رضي الله عنها

عند الله ورسوله

أ – لقد دخلته خَلَّةٌ لفقــدها ، لأنها : كــانت أم العيال وربة الـبيت، وكـان يُثـني عليها ما لم يُثنِ على غيرهــا، ويقــول: إني لأحب حبيبهــا، وكــان إذا ذبح الشــاة يقــول:« أرســلوا إلى أصدقاء خديجة» .

واتفق له أنه أرسل لحمــاً لامــرأة قــال: أوصتني خديجة بها. قالت عائشــة: لكأنما ليس في الأرض امرأة إلا خديجة فقام رســول الله مغضباً .

ب – وقــالت عائشة رضي الله عنهــا: « ما غرت على أحد ما غــرت على خديجة» قلت له يومــاً وقد مــدح خديجــة: ما تــذكر في عجــوز حمــراء الشــدقين، قد بــدَّلك الله خــيراً منهــا، فغضب رســـــول الله ، وقـــــال : « والله ما أبــدلني الله خــيراً منهــا، آمنت بي حين كــذبني النــاس، وواســتني بمالها حين حرمــني النــاس، ورُزِقْتُ منها الولد وحُرِمْتُه من غيرها». قـــالت عائشة- رضي الله عنهــا- : فقلت في نفسي لا أذكرها بعدُ بشيء أبدا .

ج – ولقد كافأها الله بفضله على ما صنعت برســول الله ، وعلى ما آزرت به دعوتــه، وما

وجد عندها من الراحة والطمأنينة:

1 – ففي الصحيحين أن رسول الله ﷺ (بشرَها ببيت في الجنة من قصب لا صَخَب فيه ولا نَصَب). والقصب : إنما يعني قصب اللؤلؤ.

2 – وروى النسائي والحاكم عن أنس رضي الله عنه أن جبريل قال: إن الله يُقْرئ خديجة السلام . فلما أخبرها ﷺ قالت: إن الله هو السلام، وعلى جبريل السلام، وعليك السلام ورحمة الله .

3 – وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « قال لي جبريل : اقرأ على خديجة من ربِّها السلام».

4 – وفي الصحيحين عن علي رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:« خيرُ نسائها خديجة بنت خويلد، وخير نسائها مريم بنت عمران» .

5 – وعن ابن عباس رضي الله عنهما: « أفضل نساء أهل الجنة: خديجة ، وفاطمة، ومريم ، وآسية» .

6 – ومثله عن أبي هريرة رضي الله عنه، إلا أنه قال: « خير نساء العالمين أربع» وذكرهن.

7 – وأخرج الطبراني في «الكبير» والبزار من حديث عمار بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ : «لقد فضـلت خديجة على نسـاء أمـتي، كما فضلت مريم على نساء العالمين» .

فسلام الله عليـكِ يا أمَّ المؤمـنين ،وسـلامُ الله ورحمتُه وتحياتُه على رُوحِـــكِ الطَّاهرةِ يا أُمَّاه .

أهم المراجع

1 – القرآن الكريم.

2 – صحيح البخاري.

3 – صحيح مسلم .

4 – الإصابة. لابن حجر.

5 – أسد الغابة. لابن الأثير.

6 – طبقات ابن سعد.

7 – الاستيعاب. لابن عبدالبر.

فهرس الموضوعات